الشناقطة ورياضة الأذهان والعقول

وقفة مع إذكاء الملكات وتنمية العبقريات

د. محمد بن أحمد بن المحبوبي
(المعهد العالي للدراسات
والبحوث الإسلامية نواكشوط، موريتانيا)

من المعلوم أن للعقل أهمية بالغة بالنسبة للإنسان، فهو المفصح عن منزلته الكريمة، وهو الذي يميزه من الحيوان، فما من شك في أن العقل مظهر التكريم ومناط التكليف وشرط الاستعداد لتقبل المعارف، وأساس تدبير الصناعات، لذلك أجمعت الأمم على أولويته وتقديمه في كل جهد تربوي، جاعلة منه محور فلسفتها، وأساس مناهجها. ولما كان العقل على هذه الدرجة من الأهمية والخطورة أردنا أن نبحث في الجانب الفكري من حياة الشناقطة، مقتصرين على جهودهم في رياضة الأذهان وتنمية الملكات الإدراكية لدى الصغار.

فما أبرز جهود القوم في هذا الحقل؟ وكيف كانوا يروضون عقول الأبناء؟ وما المبادئ النظرية التي عولوا عليها في هذا الحقل؟ وهل اختطوا لأنفسهم مناهج ترويضية خاصة أم إنهم اقتصروا على ما تدوول في الثقافة العربية الإسلامية من صنوف الرياضات الذهنية والعقلية منتهين إلى استنساخه وإعادة إنتاجه في ثوب جديد؟ ذلك ما نحاول الإجابة عنه عبر هذه الصفحات، مقسمين الموضوع إلى ثلاثة محاور أساسية أولها يقف مع المحددات الأولية، وثانيها يسعى إلى إبراز مكونات العقل الشنقيطي، وثالثها يستعرض نماذج من آليات تدريب العقول وتنمية القدرات الذهنية لدى أبناء هذه الربوع.

أولا: المحددات الأولية:

وضمنها سنتناول نقطتين: أولاهما تعنى باستنطاق العنوان وإبراز دلالاته، وثانيتهما تسعى إلى تأصيل الموضوع واستجلاء جوانب من إشكالاته.

أ- محاورة العنوان واستنطاقه:

إن عنوان هذا الموضوع يقوم على طرفين: أولهما اسم علم معرف مجموع هو: "الشناقطة" نسبة إلى شنقيط التي كانت علما على المجال الجغرافي المعروف اليوم

بموريتانيا، وثانيهما تركيب إضافي عطفي "رياضة الأذهان والعقول" وقد ربطت بينهما أداة العطف "و" التي تفيد هنا إبراز الجهد الشنقيطي في هذا الجانب الفكري من الحياة الثقافية.

أما الشطر الثاني من العنوان فيتألف من ثلاث كلمات أولاها كلمة رياضة وهي لغة "راض المهر رياضا ورياضة ذلله فهو رائض من راضة ورواض، وارتاض المهر صار مروضا"1، وثانية الكلمات: "الأذهان" وهي جمع "ذهن" بالكسر وهو الفهم والعقل والفطنة، ويوصف به فيقال: فلان ذهن أي ذكي فطن، وذهنني عنه أذهلني وأنساني، ويطلق أيضا على التفكر وقوانينه2.

أما ثالثة الكلمات وأهمها فهي العقل، وهو مشتق من عقل يعقل عقلا ومعقولا فهو عاقل من عقلاء وعقال، وقد أورد له صاحب القاموس عدة تعريفات متحدثا عن طبيعته ومبتدئه ومنتهاه يقول: "العقل: العلم، أو بصفات الأشياء من حسنها وقبيحها وكمالها ونقصانها، أو العلم بخير الخيرين وشر الشرين، أو مطلق لأمور، أو القوة بها يكون التمييز بين القبح والحسن، ولمعان مجتمعة في الذهن يكون بمقدمات تستتب بها الأغراض والمصالح، ولهيئة محمودة للإنسان في حركاته وكلامه، والحق أنه نور روحاني به تدرك النفس العلوم الضرورية والنظرية، وابتداء وجوده عند اختتان الولد، ثم لا يزال ينمو إلى أن يكتمل عند البلوغ، جمعه عقول"3.

وقد عمق أصحاب المعجم الوسيط هذه المعاني مضيفين إليها بعض الدلالات، فانتهوا إلى أنه مشتق من: "عقل عقلا أدرك الأمور على حقائقها، وعقل الغلام: أدرك وميز، يقال: ما فعلت ذلك مذ عقلت، والعقل يقابل الغريزة التي لا اختيار لها، ومنه الإنسان حيوان عاقل، وهو ما يكون به التمييز والاستدلال، وتركيب التصورات والتصديقات"4.

وبهذه المعاني الأخيرة ندرك أن العقل لا يمكن أن يؤدي مهماته كاملة إلا بقمع الشهوة ودفع الغريزة، وذلك ما يميز العاقل من الصبي والأحمق والمجنون، لأن هؤلاء تغلب عليهم شهواتهم، وتبهتهم فلا يستطيعون ردها. أما العاقل فإنه يظل دوما وفيا لفكره، مجاهدا لنفسه، مدافعا لشهواته، ساعيا إلى تحقيق التوافق والتصالح

مع محيطه، حتى يستحق أن يوصف بأنه ذو بصيرة وأناة، لذلك ورد في الحديث: "الكيس –أي العاقل– من دان نفسه وعمل لما بعده، والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني"5.

ومن هنا نعلم أن العقل على الحقيقة هو ذلك الذي يفضي بصاحبه إلى الصدق في الإيمان، والمسارعة إلى فعل الخيرات، استجابة لداعي الرحمن سبحانه وتعالى، ووقاية من أليم العذاب، فالعقل جامع لكل محمدة وخير، ومانع من الانتظام في أصحاب السعير، قال تعالى: ﴿وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير﴾.

ب– تأصيل العقل واستنباته:

لقد نوه الإسلام بالعقل، وأنزل العقلاء منزلة عالية، فقد خاطبهم الذكر الحكيم في غير ما آية، كما عرض بغيرهم من الجهلة والغافلين، وزيادة على ذلك اعتمد جملة من الآليات الذهنية التي تعد محفزات للذكاء، ومنشطات للفكر، وذلك ما سنعرض له في هذا المقام عبر نقطتين: أولاهما تتبع ترغيب الإسلام في الفكر وتنويهه بالعقول، وثانيتهما تسوق أمثلة من المسائل التي تروض الذهن وتحمل على النظر والتفكير:

I– الترغيب في الفكر والتنويه بالعقول:

لقد رغب الإسلام في الفكر وأشاد بالعقل، ويكفي دليلا على ذلك أن كلمة العقل ومشتقاتها وردت في القرآن أكثر من ستين مرة، فشغلت بذلك حيزا كبيرا من التنزيل العزيز، فقد امتدحت الآيات البينات المؤمنين بالعقل، ودعتهم إلى التدبر في آيات الكون والنظر في ملكوت السماوات والأرض، معرضة في الوقت نفسه بالعجزة والغافلين الذين يعطلون نعم الإدراك والتمييز، فيلغون مهمات القلوب والأعين والآذان، قال تعالى: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾6، وأكثر من ذلك فإن جانب النظر والتفكير يشكل في القرآن الكريم حقلا دلاليا كبيرا يدور على ألفاظ الرأي والعقل والنُّهى والتدبر والاعتبار والألباب والفكر والفقه والسمع والبصر والرشد والذكر والحكمة، فنجد أن الوحدات المعجمية

المتعلقة بحقل العقل قد تجاوزت الألف في القرآن الكريم، إذ بلغت (1181 كلمة)، وبذلك نعلم أن الإسلام أهاب بالعقل وأنزله مكانا عليا، إذ جعله نورا يهدي به من يشاء من عباده، ولم يقف الإسلام عند هذا الحد بل دعا إلى إعمال العقل كي يأخذ الإنسان العلم عن بينة وبصيرة، نائيا بنفسه عن سوءات الرجم بالغيب والقول بالرأي، قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك له علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ 7.

وثمة آيات عديدة وردت فيها ألفاظ مغايرة للفظ العقل وفسرت به منها: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ 8، أي الفقه والعقل وإصابة القول، وقوله تعالى: ﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾ 9 أي ذوي عقل، وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب﴾ 10 أي عقل، وقوله تعالى: ﴿لتنذر من كان حيا﴾ 11 أي عاقلا إلى غير ذلك، ونقرأ في بعض الآيات القرآنية مقابلة واضحة بين العاقل وغير العاقل تؤكد أن صفة العقل هي المميز الأساس للكائن البشري، ومن ثمة عرف الفلاسفة الإنسان بأنه حيوان عاقل، فإذا اختفت هذه الصفة أو عطلت أدواتها فإن الإنسان يستوي مع الحيوان غير العاقل، فالعقل جاء ليضع حدا فاصلا بين الإنسان والحيوان، بين الكيس والأحمق، قال تعالى: ﴿إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون﴾ 12، وقال جل من قائل: ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا﴾ 13.

ويأتي الحديث الشريف ليؤكد أن العقل مناط التكليف وشرط المسؤولية و لذلك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل الصحابة عن ماعز بن مالك الأسلمي حينما أراد أن يقيم عليه حد الزنا وذلك بعد أن اعترف أمامه بهذه الفاحشة فراجع صلى الله عليه وسلم الصحابة قائلا: " أتعلمون بعقله بأسا تنكرون منه شيئا" فأجابوا بأنه وفي العقل أي تامه(9) و تظل الأحاديث منوهة بقيمة العقل، مصرحة بتكريمه لتنتهي إلى أنه عنوان الدين و الحياء، و رمز المروءة و الكمال وشعار السكينة و الوقار ففي الحديث:"لما خلق الله العقل قال أدبر فأدبر ثم قال أقبل فأقبل قال: وعزتي ما خلقت خلقا أكرم علي منك، بك آخذ و بك أعطي و بك أثيب و بك أعاقب"14.

وفي الأثر أن جبريل عليه السلام أتي أدم عليه السلام فقال إني أتيتك بثلاث فاختر واحدة منها قال وما هي يا جبريل، قال: العقل و الدين و الحياء، قال اخترت العقل فخرج جبريل إلى الحياء و الدين و قال ارجعا فقد اختار عليكما العقل فقالا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان[15]. وفي حديث آخر "أول شيء خلقه الله القلم ثم خلق النون وهي الدواة ثم قال له اكتب قال وما أكتب، قال اكتب ما يكون وما هو كائن إلى يوم القيامة، ثم خلق العقل وقال: وعزتي لأكملنك فيمن أحببت ولأنقصنك فيمن أبغضت"[16].

والأهم من ذلك أن المرء يدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ولا يتم لامرئ حسن خلقه حتى يتم عقله، وحسب العقل مكانة أنه يبصر الإنسان بنفسه فيجعله مقبلا على شأنه عارفا بزمانه، حافظا للسانه، فهو أشرف الأحساب والأنساب، وهو قوام كل معيشة واكتساب.

ولأهمية العقل في ثقافتنا العربية الإسلامية عولت عليه المؤلفات التثقيفية قديما وخصصت له حيزا كبيرا في صفحاتها جاعلة منه عنصرا ثابتا وبابا معتمدا فترى الإمام الماوردي (364–450هـ) يستودع كتابه "أدب الدنيا والدين" جملة من فوائد العقل منتهيا إلى أنه أساس الفضائل والآداب مفتتحا كتابه بباب في فضل العقل وذم الهوى، يقول: "اعلم أن لكل فضيلة أسا ولكل أدب ينبوعا وأس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين أصلا، وللدنيا عمادا، فأوجب التكليف بكماله، وجعل الدنيا مدبرة بأحكامه، وألف به بين خلقه[17].

ثم يسوق بعد ذلك أقوال أئمة السلف في العقل ورأيهم فيه، فنسب إلى الحسن البصري قوله: "ما استودع الله أحدا عقلا إلا استنقذه به يوما"[18]. وقال بعض الحكماء: "العقل أفضل مرجو والجهل أنكى عدو"[19]. قال بعض الأدباء: "صديق المرء عقله، وعدوه جهله، والعقل يزدان بالتجربة، ويزداد بعظات الأيام، لذلك حمدت العرب آراء الشيوخ حتى قيل: عليكم بآراء الشيوخ فإنهم فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر، وقيل لا تدع الأيام جاهلا إلا أدبته، قال بعض الشعراء[20]:

ألم تـر أن الـعـقـل زيـن لأهلـه ولكن تمام العقل طول التجارب

ولم يكتف الإسلام بهذا القدر من المقولات النظرية المنوهة بالعقل وقيمته، بل تجاوز ذلك إلى بعض الإجراءات التطبيقية الساعية إلى إذكاء العقل وتنميته عبر جملة من الرياضات الذهنية التي تعمل على قدح العبقريات وإذكاء الشعور توجيها إلى النظر والتفكير وتحفيزا عليهما فماذا عن هذه الرياضات الذهنية؟:

2. إذكاء الألباب وتدريب الأذهان والعقول:

لقد عمل صلى الله عليه وسلم على شحذ أذهان الصحابة مقدما إليهم المسائل العقلية التي تحمل على النظر والتفكير فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليهم وسلم: ﴿إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي، فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله فوقع في نفسي أنها النخلة فاستحيت، ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة﴾[21]. وقد تناول العلماء هذا الحديث بالشرح والتحليل، فانتهوا إلى أنه أصل في الألغاز والأحاجي ومنطلق لإذكاء العقول والأذهان، بل هو اختبار لأحوال الطلبة والدارسين "ففي هذا الحديث من الفوائد امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى مع بيانه لهم إن لم يفهموا (...) وفيه أيضا التحريض على فهم العلم"[22]. ففي هذا الحديث دليل واضح على أنه صلى الله عليه وسلم كان يقدم في كلامه بعض العبارات التي تشحذ همم الأصحاب وتذكي عقولهم، مما يؤكد جواز اللغز مع بيانه[23].

وتجدر الإشارة إلى أن علم الألغاز نشأ في ظلال الجهود الرامية إلى فهم حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ومن أقدم ما ورد من الألغاز ما روي من أن رجلا من أهل العلم كتب إلى ابن عباس يسأله عن جملة من المسائل قائلا: "أخبرني عن شيئه قليلة حلال وكثيره حرام، وعن رسول بعثه الله ليس من الجن ولا من الإنس ولا من الملائكة، وعن نفس أوحى الله إليها ليست من الأنبياء، وعن شيء تنفس ليس له لحم ولا دم، وعن شيء فعلته كان حراما وإن تركته كان حراما"[24].

ويبدو أن هذه الألغاز كلها مستمدة من القرآن الكريم، فالشيء الذي قليلة حلال وكثيره حرام هو نهر طالوت الذي ابتلاهم الله به، أما الرسول الذي بعثه الله وليس من الأنبياء فهو الغراب الذي بعثه الله إلى ابن آدم ليريه كيف يواري سوأة أخيه. وأما الشيء الذي تنفس وليس له لحم ولا دم فهو الصبح. وأما الشيء الذي فعله حرام وتركه حرام فهو الصلاة حال السكر، فلا يجوز للإنسان أن يصلي وهو سكران، ولا يجوز له أن يترك الصلاة25.

ويذكر أيضا أن الشافعي رحمه الله دخل على هارون الرشيد فامتحنه أبو يوسف ومحمد بن الحسن في مسائل أثبتاها في درج، ودفع الدرج إليه في ذلك المجلس فأجاب عنها بأسرها في الحال، وسألهما عن مسألتين فعجزا عن الجواب.

وقد ظهرت مؤلفات وكتب خاصة بهذا الفن من أبرزها: كتاب المقامات للحريري (ت516) الذي يعد أكثر من ضرب بسهم في فن الألغاز والأحاجي، بل يرى بعضهم أنه أول من اخترع فن الأحاجي وتوسع فيها وطورها، ويأتي بعده كتاب الألغاز لأبي حفص الحموي (ت626هـ) وكذلك ألغاز المحب الطبري (ت694هـ) ثم كتاب الإيجاز في الألغاز للجعبري (ت732هـ) وكتاب الألغاز لجمال الدين الأسنوي 772هـ وكتاب درة الغواص لابن فرحون (ت799هـ) وغيرها. وما من شك في أن فن الألغاز تطور كثيرا أيام عصور الضعف والانحطاط حيث تعطلت الأنشطة العقلية الفعالة لتنصب جهود القوم على هذا الحقل.

وبالجملة فإن الأمثلة التي سقنا والمؤلفات التي ذكرنا تدل على قيمة الألغاز وأهميتها؛ إذ تعد وسيلة تربوية بالغة الأهمية، فهي تدرب أذهان الطلاب على مسائل العلم وتعودهم على إعمال العقل والفكر، غير أن هذه الوسيلة على أهميتها يشترط فيها أن تكون واقعية ممكنة الحل غير موغلة في الإشكالية والتعمية، فيلزم أن تترك للطالب قرينة يفهم منها اللغز، فقد روى أبو داوود من حديث معاوية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات26.

قال الأوزاعي: هي صعاب المسائل فإن ذلك محمول على ما لا نفع فيه أو ما خرج على سبيل إفحام المسؤول أو تعجيزه، لذلك أفتى العلماء بعدم جواز هذا

الصنف من الألغاز خاصة ذلك الذي يشكك في أسس العلم ويشوش على العامة على نحو ما روي من أن رجلا قال: "أنا لا أرجو الجنة ولا أخاف من النار وآكل الميتة والدم وأصدق اليهود والنصارى وأبغض الحق وأهرب من رحمة الله وأشهد بما لم أر، وأحب الفتنة، وأصلي بغير وضوء"27.

وسئل أبو حنيفة عن هذا الرجل فقال: لا يكفر وأول كلامه بأن قوله: "لا أرجو الجنة ولا أخاف من النار فإنما يرجو ويخاف خالقهما، وأراد بالميتة والدم الكبد والطحال والسمك والجراد، وبقوله أصدق اليهود والنصارى في قول كل منهم في الآخر أنه ليس على شيء كمال قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء﴾28.

والهروب من رحمة الله الفرار من المطر، والحق الذي يبغضه الموت لأنه حق وكل الناس يكره الموت، والشهادة بما لم ير يريد بها الإيمان بالغيب، والفتنة يقصد بها الأموال والأولاد، قال تعالى: ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾29.

والصلاة بغير وضوء ولا تيمم يريد بها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وما من شك في أن إطلاق مثل هذه الأسئلة لاسيما بحضرة العوام ممن لا يفهم دقائق الأمور يلبس على الناس فلا يجوز إيراد مثل هذه الاختبارات الذهنية المحيرة بحضرة العامة، لأن ذلك سبب إلى ضلالهم وتشكيكهم، قال ابن مسعود رضي الله عنه: "أنذرتكم صعاب المنطق"30 يريد المسائل المبهمة. وقال الأوزاعي: "إذا أراد الله أن يحرم عبده بركة العلم ألقى على لسانه الأغاليط"31.

وعن الحسن رضي الله عنه قال: "ألا إن شرار عباد الله الذين يجيئون بشرار المسائل يعنتون بها عباد الله"32. وقدمنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات، وذلك ما نظمه أحد العلماء الشناقطة محسنا العزو إلى كتاب الاعتصام يقول33:

عن الاغلوطات نهى خير الورى فالحذر الحذر ثم الحذرا
وهي المسائل الصعاب الاعتصام للشاطبي انظر رزقت الاعتصام

وقد اتفق علماء المسلمين قديما وحديثا على أهمية تدريب أذهان الطلبة مع ضرورة الابتعاد عن مثل هذه الأطروحات التي تشوش على الأذهان، فيلزمنا أن نفرق جيدا بين الأغلوطات وبين قادحات الأفكار والعقول، فهذه الأخيرة ذات وظيفة تعليمية هامة، فهي تساعد على نشر العلوم بين صفوف الناس في يسر وسهولة؛ إذ تعد قالبا تربويا لقدح العبقريات، وإطارا منهجيا لتحصيل العلوم عن طريق السؤال والجواب والإشكال وحل الإشكال، فهي من هذا المنظور تعتبر محفزات عقلية بل هي من أقدم المحاولات التي توسلت بها المجتمعات القديمة لتحصيل العلوم ترسيخا للتجارب ونقلا للخبرات بين الجماعات والأفراد .

ثانيا: الشناقطة وتكوينات العقول النظرية

من المعلوم أن لكل أمة أسسا تربوية محددة تنطلق منها في بناء تصوراتها العقلية وتوجهاتها الفكرية، وتكون مرتكزها في مختلف مراحل التكوين الأساسي للأجيال سواء تعلق الأمر بالآليات الخاصة التي تتناول في مرحلة الطفولة والصبا، أو ارتبط بالجهود التثقيفية المنظمة التي تسعى إلى تكوين الرجال دافعة بالأجيال إلى إذكاء المهارات والعقول.

ويبدو أن الشناقطة اعتمدوا في هذا الجانب مسطرة تربوية محكمة البناء والتنسيق همها الناصب تنمية القدرات الذهنية والعبقريات الفردية، فعولوا على جملة من المقررات المحظرية تحمل على النظر والتفكير وتدعوا إلى التأمل والتعليم على نحو يكسب الأفراد مزيدا من الفطنة والذكاء ويدفع الأذهان إلى شيء من الحدة والتنبه والاستيقاظ مع التدرب على التبصر والاستنباط.

وعبر هذه المصفوفة تتعانق الملكات الفطرية بالمواهب المكتسبة فتلوح للناظر بنية تكوين العقل الشنقيطي التي نود أن نعرض لها عبر نقطتين: أولاهما تعنى بالمكونات الأولية العامة، وثانيتهما تهتم بالمكونات المكتسبة المعمقة:

أ. المكونات الأولية:

ونقصد بها تلك الآليات العامة التي عول عليها القوم في تربيتهم لأبنائهم، وهي في الغالب غير مصنفة ولا تخضع للتقنين، فليست بالجهد المدرسي المنظم، وإنما هي جملة من التدريبات الذهنية والتجارب المعرفية، ذات الأثر البالغ في تقوية الذاكرة

وشحذ الأذهان، ومن أمثلتها ما يقومون به من مراقبة دقيقة للأبناء في مرحلة الطفولة والصبا، معتمدين في ذلك مصفوفة من الإجراءات العملية التي تسهم في تنمية القدرات العقلية، كما تدفع الصغار إلى مزيد من التأمل والتفكير، فتؤثر عنه في هذا الصدد رياضات ذهنية متنوعة سنعرض لها في ثلاثة مستويات:

1- الحكايات الشعبية: والمقصود من هذه الحكايات هو خلق إطار للنظر والتفكير في ذهن الصبي، لكي يصبح قادرا على الاستدلال والاستنتاج، عارفا بالحجة والبرهان، ومتمكنا من أساليب الجدل والإقناع، ومن الحكايات المشهورة في هذا الصدد ما يذكرون أنه دار بين الذئب والدب، وهو في جملته يشير إلى أن الحيلة والذكاء مع الصغر والضعف أنجح في تحقيق الأمور من عظم الجثة وقوة البدن مع البله والبلادة.

فيحكون أن الدب سافر مع الذئب مرة في أرض شائكة، في شتوة باردة وعندهما راحلة وكساء، فقال الذئب لزميله هلم نسهر هذه الليلة في عبادة الله، فأينا كان أسبق إلى أذان صلاة الصبح نجازيه بأن يركب الراحلة في النهار، ويلبس الكساء في الليل، فاتفقا على ذلك، فنام الذئب وبات الدب يصلي حتى طلع الفجر، فأذن وأيقظ أذانه الذئب، فقال هذا الأخير: "السلام عليكم" رافعا بها صوته ليوهم زميله أنه بات يصلي وأنه سبقه إلى الصلاة حيث أكملها وفرغ منها. فبهذه الحيلة ربح الذئب الكساء في الليل والراحلة في النهار لعبقريته وذكائه[34].

وفي هذا السياق نفسه يحكون أن الذئب كان زوجا للأرنب وعنده ثور وعندها بقرة، فولدت البقرة عجلة وقال الذئب هي بنت ثوري، وقالت الأرنب: بل هي بنت للبقرة، واحتكما إلى الثعلب، فوعدهما صبيحة الغد، فلما ارتفع النهار قدما إليه، فوجداه قد طلى وجهه بالمغرة (طين أحمر معروف تطلي به المرأة النفساء وجهها إذا ولدت أنثى). فسأله الذئب: ما بالك؟ فقال له: إني نفست البارحة، فقال: أينفس الذكور؟ فقال: اعرفها إذن ورد إلى الأرنب عجلتها وأعطها حقها[35].

وهكذا يكتسب الطفل من هذه الحكاية ومثيلاتها قدحا للذهن والعبقرية، وتطويرا لآليات النظر والاستدلال، وتعميقا لمقولات المنطق التي لا تقبل الأمر الخارق للعادة غير المألوف.

2- الألغاز والأحاجي: تعد الألغاز والأحاجي إطارا مناسبا يتم فيه إعداد النشأ للنظر والتفكير وحملهم على إعمال الذهن وقدح العبقريات، وفي هذا الصدد كان الأطفال يجلسون أول الليل مع الأمهات والجدات في حلقات حوارية خاصة يتم خلالها تقديم جملة من الألغاز والأحاجي الشعبية يتبارى الصغار في كشف أسرارها وفك بعض أزرارها .

ومن الألغاز التي يربون عبرها الصبيان على التفكير تقسيم زق من الدهن بالسوية بين عدد من الأفراد فيسألون الطفل عن كيفية تفريغ قارورة من الدهن بالتساوي على مجموعة من المستحقين مع العلم أن القارورة تسع ثمانية أمداد والمقسم لا يتوفر إلا على إناءين أحدهما يسع خمسة أمداد والآخر يسع ثلاثة[36].

والجواب عن هذا أنه يملأ الإناء الصغير ويفرغه في الكبير، ثم يملأ الصغير ثانية ليفرغه في الكبير مرة أخرى فيبقى مدان في الزق ويبقى في الإناء الصغير مد واحد وتحصل في الإناء الكبير خمسة أمداد فتفرغ هذه الأخيرة في الزق، فإذا خلا الإناء الكبير جعل فيه ما كان في الإناء الصغير، ثم يملأ الإناء الصغير مرة أخرى ويفرغه في الكبير، فتحصل فيه أربعة، وفي الزق أيضا مثل ذلك، وهذا هو المطلوب.

ومن الألغاز التي يمتحنون بها الذكاء أيضا بذل الجهد في تنسيق بعض الأشياء المتنافرة، وذلك على نحو ما في الاختبار الآتي:

إذا كان عندك ذئب ومعزاة وغصن مورق ولديك زورق صغير لا يتسع لأكثر من واحد من هذه المذكورات، فكيف تستطيع أن تعبر نهرا بهذه العناصر من غير أن يخلو الذئب بالمعزاة أو تنفرد المعزاة بالغصن لما قد يترتب على ذلك من عدم إكمال المهمة[37].

والجواب عن هذا أن تحمل المعزاة أولا وتتركها وراء النهر ثم ترجع وتحمل الغصن وتتركه وراء النهر ثم ترجع بالمعزاة معك وتتركها في نقطة الانطلاق ثم تحمل معك

الذئب وتتركه مع الغصن وراء النهر وتعود منفردا فتأتي بالمعزاة. ومن أساليبهم المنشطة للذهن أن يطلبوا من الطفل تكرير بعض العبارات المتقاربة في المخرج بسرعة فائقة دون تعثر أو تلعثم، وهذا من شأنه أن يدرب الطفل على النطق بالحروف في فصاحة وبيان، ويمرنه على إخراجها من مخارجها مع مراعاة أوصافها، ومن أمثلة ذلك أنهم يأمرون الصغير أن يكرر على عجل هذا التعبير: "انخط احروف وانخط اخروف" إلى غير ذلك من العبارات المتماثلة في مخارج الأصوات.

وأما الأحاجي الشعبية فكثيرة، ومن أمثلتها قولهم:

3- الندوة الشعرية: ونقصد بها ذلك السمر الأدبي القائم على استحضار الشعر من الذاكرة على نحو يقدح الأذهان وينمي ملكة الحفظ، وكثيرا ما يتم هذا النشاط في حرم المحظرة أو بأحد بيوتات الحي. وصورته أن يجتمع نفر من الشباب أقلهم ثلاثة وينتظموا في حلقة ثقافية، وغالبا ما يكون ذلك بعد صلاة العشاء، أو قبيلها بيسير. وفي فاتحة اللقاء يتفقون على أن يتذاكروا محفوظاتهم الشعرية عبر آلية تدريبية قوامها أن يبدأ أحد الحاضرين بإنشاد بيت من الشعر ليقوم من بيمينه بإنشاد بيت تكون فاتحته روي البيت السابق، ثم ينشد الذي عن يمين هذا الأخير بيتا ثالثا يكون أول حرف منه آخر حرف من البيت المتقدم وهكذا، فإذا كان المنشد الأول أنهى بيته بروي الهمزة فإن المنشد الثاني يلزمه أن يستحضر من ذاكرته بيتا يبدأ بحرف الهمزة، وإذا كان هذا البيت المبدوء بحرف الهمزة ينتهي بحرف الياء فإن المنشد الثالث يتحتم عليه أن يأتي ببيت يبدأ بحرف الياء، وهكذا حتى تتم الدورة وقد تتكرر عدة مرات على هذا النحو، دون إعادة لما سبق إنشاده.

وقد يكون مستوى الجماعة عاليا ومحفوظهم الشعري متعددا ومتنوعا فيلجأون عندئذ إلى تقليص دائرة الاختياري لتنحصر في الشعر الجاهلي أو العباسي أو الشنقيطي مثلا، وقد يختارون مجالا محدودا كأحد الأغراض الشعرية، فيقع اختيارهم في الندوة على غرض معين كالمدح أو الرثاء أو الحكمة أو الغزل، أو غير ذلك من القيود المعرفية التي تكشف عن التمكن من ناصية اللغة وعلو

الكعب في القريض. ومن الأعراف المتداولة في الندوات الشعرية المتميزة إقصاء الأراجيز والمنظومات التعليمية من دائرة الاهتمام وحقل التنافس.
ومن التقاليد المتداولة عندهم أنه إذا ما عجز أحد المشاركين عن استحضار الحرف الذي لزمه فإن له أن يستقرض بيتا من بعض الحاضرين ولهم أن يقرضوه، فإذا تكرر منه الأمر مرات دل ذلك على قصوره، مما قد يضطر المجموعة إلى أن تخرجه من الحلقة بلطف. ولا بأس أن نقدم في هذا المقام نموذجا من نماذج الندوات الشعرية:

محمد سيد الكونين والثقلي ... ـن والفريقين من عرب ومن عجم
مديح سوى المختار بالعقل يعبث ... وأكثره جهل به المرء يرفث
ثم انثنى ذات اليسار غدية ... يتتبع الأوكار في "أوكارا"
رمت الفؤاد مليحة عذراء ... بسهام لحظ ما لهن دواء
ألا يا صحبتي عوجوا فحيوا ... ربوعا ما بمربضهن حي
يا معشر البلغاء هل من لوذعي ... يهدى حجاه لمقصد لم يبدع
على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم
مرامي رزق واسع يتيسر ... ونصر ورضوان من الله أكبر
ربعت في مجادل "الكرب" ترعى ... جلهات بهن حو البطاح
حل في القلب حب طه فتاها ... إنما الفخر كله حب طه
هاج قرح الغرام بعد اندمال ... ظعن ظعن الخليط يوم إنال
لا تنس ربك في ري ولا ظمإ ... ولا بحضرة ضرغام ولا رشإ
أمن آل نعم أنت غاد فمبكر ... غداة غد أم رائح فمهجر
رمتني على فوت بثنية بعدما ... تولى شبابي واشرخم شبابها
بانت سعاد فقلبي اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول

ب- المكونات المكتسبة:

ونقصد بها تلك المقررات المنطقية والعقدية التي أسهمت بفاعلية في تشكيل بنية العقل الشنقيطي مطورة أساليب النظر والتفكير لدى القوم، ومستأنسة بجهود العرب والمسلمين في هذا الحقل، وسنعرض لها في مستويين:

1- مكونات تراثية عامة: ونعني بها مجموعة الكتب والأنظام التي ظلت الحواضر العربية والإسلامية تعول عليها في الدرس المنطقي، وهي متنوعة وكثيرة، وليس من همنا في هذا المقام أن نستقصيها، وإنما غايتنا أن نقدم مهادا موجزا يكتفي بالإشارة إلى أكثرها حضورا وتأثيرا في البنيات العقلية للقوم، تلك البنيات القائمة بالأساس على تأمل آيات الكون وبدائع المخلوقات، وتدبر آيات الذكر الحكيم، آيات من له الخلق والأمر، مع النظر كذلك في الأحاديث الشريفة والاستئناس بأبرز المؤلفات المنطقية التي كانت من أسس المقررات في العالم الإسلامي، ومن قوام بنيات العقل العربي ومكوناته، ومن هذه الأنظام منظومة ابن طيب التونسي التي استفتحها ببراعة استهلال تعتمد الثناء على الله سبحانه وتعالى والصلاة والسلام على رسوله صلى الله عليه وسلم، مبينة القصد من المنظوم ومحددة مصادر الرجل في منظومته، إذ عول على مختصر السنوسي ساعيا إلى استكماله مضيفا إليه جملة من التقييدات والملاحظات يقول[38]:

الحمد لله على الإنعام ... بالعقل والإدراك والإفهام
ثم الصلاة وسلام ثان ... على الذي أيد بالبرهان
محمد والآل والأصحاب ... المثبتين منتج الصواب
هذا وإن القصد نظم مختصر ... يحوي من المنطق ما في المختصر
مختصر الشيخ السنوسي الإمام ... من كل ما ذكر فيه من مرام
مع ذكر ما ترك من لواحق ... ومن مفيد بمحل لائق
وأستمد ربنا سبحانه ... من مدد التوفيق والإعانه

ونضيف في هذا السياق منظومة عبد الرحمن الأخضري (ت 883هـ) الذي أوضح في مقدمتها أهمية علم المنطق مبرزا قيمته في تأسيس علم الجدل والحوار، وبناء الحجج وتأسيس الأفكار، إذ يسهم في إذكاء الأذهان والعقول، منشطا أدلة النظر والاحتجاج، فالمنطق من هذا المنظور غذاء للأفئدة والقلوب، ودباغ للأفكار والفهوم، فهو يعصم الأفكار من الزيغ والانحراف، ويصرفها عن الخطأ والإجحاف يقول[39]:

الحمد لله الذي قد أخرجا نتائج الفكر لأرباب الحجا
وحط عنهم من عناء العقل كل حجاب من سحاب الجهل
حتى بدت لهم شموس المعرفه رأوا مخدراتها منكشفه
نحمده جل على الإنعام بنعمة الإيمان والإسلام
من خصنا بخير من قد أرسلا وخير من حاز المقامات العلى
محمد سيد كل مقتفى العربي الهاشمي المصطفى
صلى عليه الله ما دام الحجا يخوض من بحر المعاني لججا
وبعد فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان
فيعصم الأفكار عن غي الخطا وعن دقيق الفهم يكشف الغطا

وإثر ذلك يبين حكم الاشتغال بعلم المنطق وموقف العلماء منه، إذ اختلفت بهم المذاهب على ثلاثة أقوال تشمل الحرمة والوجوب والإباحة، فذهب النووي وابن الصلاح إلى تحريمه، ومال قوم إلى وجوبه واعتماده، في حين فصل فريق ثالث منتهيا إلى أن المذهب الراجح والقول المشهور هو جواز تعلمه لكامل القريحة وثاقب الذهن ليهتدي به إلى الصواب، مزيحا عن الأفكار الحجب والأستار يقول[40]:

والخلف في جواز الاشتغال به على ثلاثة أقوال
فابن الصلاح والنواوي حرما وقال قوم: ينبغي أن يعلما
والقولة المشهورة الصحيحه جوازه لكامل القريحه
ممارس السنة والكتاب ليهتدي به إلى الصواب

وقد ختم الأخضري أرجوزته في تواضع علمي كبير صرح ضمنه أنه أنهى هذه المنظومة وهو في عنفوان شبابه لم يتجاوز الواحدة والعشرين من عمره يقول[41]:

قد انتهى بحمد رب الفلق ما رمته من فن علم المنطق
وكن أخي للمبتدي مسامحا وكن لإصلاح الفساد ناصحا
وقل لمن لم ينتصف لمقصد العذر حق واجب للمبتدي
ولبني إحدى وعشرين سنه معذرة مقبولة مستحسنه
لا سيما في عاشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون

2- **مكونات محلية خاصة:** ونعني بها جهود الشناقطة في حقل المنطق، فالمطلع على الثقافة الشنقيطية يدرك جليا أن القوم استطاعوا أن يستوعبوا الكثير من مقررات العلوم العقلية والعقدية، فتمثلوها وأضافوا إليها من جهودهم، فأسسوا لأنفسهم مقررات في هذا الحقل خاصة، استمدوها من المقررات العامة ولونوها بألوانهم المتميزة وصبغوها بصبغ النظمية والشرح والطرة والتبسيط، فسعوا جهدهم إلى شرح الغامض وتكميل الناقص ونظم المنثور وتوشيح المنظوم، فخلفوا بذلك تراثا متنوعا، لعل من أبرز نماذجه ما خلفه العلامة المختار بن بونه الجكني (ت 1220هـ) إذ يعد من أوائل الشناقطة الذين اعتنوا بهذا الجانب، فقد خلف فيه منظومة أطلق عليها: "تحفة المحقق في حل مشكلات علم المنطق" ونوه في فاتحتها بقيمة هذا العلم، مؤكدا أنه يجلو ظلمات الجهل ويدفع اضطراب الأفكار، فهو معيار العلوم وعنوان النباهة ومقياس الفهوم، لذلك رجح المذهب القائل بجواز الاشتغال به، إذ رأى فيه عونا على فهم الكتاب والسنة وأداة لتصحيح العقائد وسبيلا لاقتناص الشوارد يقول[42]:

وبعد فالمنطق خير ما اعتنى ذو همة به وخير ما اقتنى
لكونه معيار كل علم وجاليا لظلمات الوهم
وبله ما قال سوى المحقق إن البلا موكل بالمنطق
وإن تقل حرمه النواوي وابن الصلاح والسيوطي الراوي
وخص في المقال الصحيحه جوازه لكامل القريحه
قلت: نرى الأقوال ذي المخالفه محلها ما صنف الفلاسفه
أما الذي خلصه من أسلما لا بد أن يعلم عند العلما
لأنه يصحح العقائدا ويدرك الذهن به الشواردا

ونبلغ إلى جهود عبد السلام بن حرمه العلوي (ت 1343هـ) الذي نظم أرجوزة رائعة وشح بها منظومة السلم المرونق وكملها. ويعد توشيحه من أبرز المقررات المحظرية في فن المنطق، وقد استهله مبينا دلالة الحد عند المناطقة، ومبرزا المقصود من هذا العلم يقول43:

وحده إن رمته والحد بالجامع المانع حدا يبدو
علم به يعرف ما ينتقل عن حاصل به لما سيحصل
أو آلة تعصم ذهن من نظر فيها من الخطأ في غوص الفكر
ثم اسمه يدعونه بالمنطق وباسم معيار العلوم يرتقي

وقد ختم توشيحه في تواضع علمي كبير مبينا غرضه من الاحمرار ومحددا مصادره الأساسية يقول44:

تم بحمد المنعم الموفق توشيح نظم السلم المرونق
توشيح ذي بضاعة مزجاة في العلم غير ثاقب المشكاة
نظمته للمبتدين تبصره وللشيوخ المنتهين تذكره
معتمدي في نقله قصاره جم المعاني واضح العباره
وأصله بنان ذو التبيان وشرح قدورة ذي الإتقان
وربما زدت من المختصره وشرحها مسألة محرره
فجاء نظما جامعا مبينا على مهم فنه معينا

ونذكر في هذا السياق جهود العلامة محمد فال (ببها) بن محمذن بن أحمد بن العاقل (ت 1234هـ) الذي كان متمكنا من علم المنطق مهتما به، فقد نظم أبياتا يخاطب ضمنها أحد زملائه في الدراسة مشيرا إلى أنه فهم بعض أبواب السلم واستعصت عليه منه أبواب أخر، وقد أورد ذلك ضمن أسلوب بلاغي بديع

يعتمد تضمين بعض أشطار منظومة السلم وإيراد جملة من المصطلحات المنطقية يقول45:

لقد جمعت من علوم المنطق ما كنت أحجو جمعه لم ينطق
وصرت ما إن لك من ممار في الفرس المضروب والحمار
و"الخلف" و"العكس" بفهم مرضي و"الافتراض" نلت دون أرض
و"قيد الموضوع" منك لم تفر و"سالبات الكل عكس ما ذكر"

وأكثر من ذلك جمع نبذة مفيدة في علم المنطق سماها: "أهبة المتنطق إلى علم المنطق" يقول في مقدمتها: "الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد فهذه نبذة نافعة في علم المنطق جمعها الفقير إلى رحمة ربه الغني به عمن سواه محمد فال بن محمذن بن أحمد بن العاقل"46.
وقد نظم هذه النبذة زين العابدين بن اجمد اليدالي (ت 1358هـ) مستهلا منظومته بالثناء على الخالق سبحانه وتعالى وبالصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم محددا طبيعة الموضوع ومبينا قيمة النظم في تسهيل المنثور وملتمسا في الوقت نفسه بركة المؤلف الميمون يقول47:

الحمد لله على الإيمان وغيره من نعم الرحمن
ثم صلاة توجب التهاني دائمة لصاحب البرهان
وقد وجدت نبذة من يطق فهما لها تعينه في المنطق
جمعها نجل سليل العاقل أعني محمد فال ذا الفضائل
وللتبرك به ابتدرت نظامها لما به اقتدرت

وقد وشح المختار بن حامد الديماني (ت 1414هـ) منظومة السلم باحمرار رائع استهله بالثناء على الله سبحانه وتعالى وبالصلاة والسلام على رسوله صلى الله

عليه وسلم، محددا مجهوده في تكميل نظم الأخضري، مشيرا إلى أنه اختار لتوشيحه لون الحبر الأحمر ليمتاز عن الأصل الذي يكتب بالحبر الأسود يقول48:

الحمد لله وصلى الله على محمد ومن تلاه
وبعد فالقصد بهذا الكلم تكميل ما نظمه في السلم
وهو عن الأصل بحبر أخضر أو أحمر يمتاز قال الأخضري
"الحمد لله الذي قد أخرجا نتائج الفكر لأرباب الحجا"

وختم احمراره في نغم تنافسي رفيع يؤكد ضمنه تفوقه على صاحب السلم المرونق، فإذا كان الأخضري قد أكمل منظومته وهو ابن إحدى وعشرين فإن الرجل صرح أنه استطاع أن يبدع احمراره وهو ابن تسع عشرة سنة، يقول49:

وبجمان واللآلي كملت ورصعت فحسنت وجملت
وإن سألت من لها المؤلف فما على اسمه لها توقف
لكنه ابن تسع عشرة سنه فهو ذو معذرة مستحسنه

ثالثا: الشناقطة وتدريبات الأذهان العملية

وخلال هذا المحور سنعرض لنقطتين أولاهما تهتم بقدح العبقريات عبر مجموعة من الألغاز العلمية، وثانيتهما تعنى بتقوية الملكات العقلية من خلال جملة من التدريبات الذهنية التي قد تحتاج إلى استفراغ الجهد في النظر والتفكير:

أ- اختبارات المعارف والعلوم:

ونقصد بها تلك الاختبارات التي كثيرا ما تنظم في حرم المحظرة وتركز في الغالب على جملة من الألغاز العلمية تمس مختلف حقول الثقافة العربية الإسلامية وخاصة فروع الفقه وعلوم القرآن ومسائل الصرف والنحو وحوادث السيرة وغيرها .

1- الألغاز في فروع الفقه:

لقد اعتنى الشناقطة بالألغاز الفقهية فنظموا فيها القصائد الطوال، ووقعت بين بعض أفرادهم مساجلات علمية، بل إنهم في بعض الأحيان وجهوا الألغاز إلى بعض الحواضر الإسلامية المجاورة كمدينة فاس وغيرها .

ولعل من أبرز النصوص في هذا الباب دالية محمد فال بن محمذن بن أحمد بن العاقل المعروفة بـ"دالية الألغاز" وتقع فيما يربو على المائة من الأبيات، وتعرض ألغازها لمعظم أبواب الفقه قادحة بذلك أذهان الطلاب ومدربة عقولهم على النظر والتفكير، وعلى التفقه في الدين يقول في مطلعها[50]:

ألا حي دورا بالأبيتر من دعد عفتها روايا المزن بعدك والسعد
وبالوهد وهد البير دور محيلة لدى حيث قل الطلح من ذلك الوهد
فأصبحن لا يعرفن إلا توهما وصفو الليالي عهده أكذب العهد
أعني على برق أراه من البعد يضيء حبيا مثل حاشية البرد
وعون قصيرات الحجال غريرة لها مالك من جد وحسبك من جد
وما متوض نزع خفيه لم يجز ومسحهما حتم عليه بلا رد
ومن زاد سهوا في الفريضة ركعة ولم يترتب من زيادته البعدي[51]
كذا ركعتا نفل يجوزان عندما غروب ذكاء يا لفرع بلا رد[52]
وفرض مصل أبطلته إشارة وأبطله منه التفات بلا قصد[53]

ولم تقتصر ألغاز الشناقطة في الفقه على الساحة الوطنية وإنما جاوزتها لتحاور مراكز العلم والثقافة بالمنطقة، وفي هذا السياق خاطب محمد عثمان بن أغشممت أهل فاس ملغزا في مسائل تتعلق بالتركة وطهارة الحدث وغير ذلك يقول[54]:

إلى مدارس فاس الغر أسئلة عيالم العلم أهل الحفظ والملكه
عن حاضر قسم متروك لوالده صار البكاء له حظا من التركه
وما به مانع في القسم يمنعه وحاز الأبعد عنه كل ما تركه[55]
وعن طوامث لا يمنعن أو جنب من مسجد وفروع العلم مشتبكه[56]
واسم في الإفراد والتذكير تذكره وفرع ذين بنوع واحد سلكه[57]
أريد منكم جوابا رائقا حسنا نظما وإلا فما أعطتكم الشبكه

ويبدو أن محظرة أهل محمد سالم في شمال البلاد كانت على صلة وثيقة بحاضرة فاس فتبادل مع أبناء هذه المدينة عدة ألغاز فقهية نذكر منها تلك الأبيات التي خاطب بها أحمد بن محمد سالم (ت1302هـ) أهل فاس قائلا[58]:

هلم لأهل فاس فالعقول بحكم الجهل قد حارت فقولوا
لهم قولا يزيل الجهل عنا فإن الجهل مرتعه نحيل
تحيرت العقول لقول شخص أمن رشد وإسلام يقول
لزوجة أنت طالق أي ثلاثا ولم يلزم طلاقا ذا المقول
ولم يكره ولم يسبق لسان فهل ذا القول تألفه النقول

فأجابه أحد علماء فاس[59]:

نعم ذا القول تألفه النقول فهو زوج لزوجته يقول
أزينب أنت طالق أي ثلاثا يريد إذا دخلت ولا يقول

وأكثر من ذلك نجد العلامة أحمد بن محمد سالم يعزز هذا التواصل المعرفي بلغز آخر يوجهه لأهل فاس، يقول[60]:

أيا أهل فاس الغر لغز سياقه بنص خليل جا وفيه مساقه
أسائل ما عقد صحيح صداقه قد أبطله قبل البناء فراقه
وآخر فيه أكمل المهر كله على الزوج من قبل البناء طلاقه

فأجابه أحد علماء فاس قائلا[61]:

فمن وهبت قبل البناء صداقها لزوج وذاك الزوج حم فراقه
وليس لها نصف بتطليق زوجها فما شطر المأخوذ منه صداقه
وواهبة من مالها لحليلها قبيل البناء ما سيق منها صداقه
يعيد لها المأخوذ منه جميعه جوابه بحمد الله تم اتساقه

ونصادف في هذا المقام أبياتا يوجهها عبد القادر بن محمد سالم لأهل فاس يطرح فيها عدة إشكالات فقهية عديدة منها السؤال عن الشخص لا تصح صلاته إلا إماما وآخر يرى من المحرم غير الذي ترى منه وثالث يتعلق بصلاة غير باطلة ومع ذلك تلزم إعادتها، كما سأل عن وطء غير ناقض للوضوء وأحداث كذلك. واستشكل أيضا مسألة الحائض التي تصلي وتصوم وتقضي الصوم أبدا دون الصلاة. وختم أبياته مستفتيا عن امرة إن أرضعت ابنها حرمت على زوجها يقول[62]:

يأهل فاس سؤالي نحوكم قصدا تزجيه نحوكمُ أيدي السعاة غدا
وفي السؤال سؤالات لكم وبكم ينحل من عقد الساعين ما وردا
في مذهب الأصبحي اللغز مجتمع ونجل إسحاق فيه البعض قد وجدا
فأين شخص إذا ما أم يصلحها وحيثما ائتم لم تصلح له أبدا[63]
وأين ما رجل يرى من امرأة غير الذي نظرت منه ولا فندا[64]
ولتخبروا عن صلاة لم تكن بطلت وعودها لازم لا زلتم رشدا[65]
وأين جهر مكان السر تطلبه من المصلى لكي به ينال هدى[66]
وأينما زوجة إن أرضعت ولدا تحرم على زوجها لرضعها الولدا[67]

2. الألغاز في علوم القرآن:

ولعل من أقدم الألغاز الشنقيطية المتعلقة بعلوم القرآن ذلك السؤال الذي وجهه سيدي عبد الله بن رازكه (ت1144هـ) لأهل فاس مستفهما ضمنه عن النكتة

البلاغية في الإتيان بالظاهر مكان الضمير في قوله تعالى: ﴿ثم استخرجها من وعاء أخيه﴾ (يوسف 76) يقول68:

شيوخ البيان الذائقين حلاوة من العلم لم تطعم لغير ذويه
سلام من الله السلام ورحمة يعمانكم من خامل ونبيه
سلام غريب دون شنقيط أرضه من البعد تيه يتصلن بتيه
قراه لديكم أهل فاس جوابه بنص بيان في البيان وجيه
أسائلكم ما سر إظهار ربنا تبارك مجدا "من وعاء أخيه"
فلم يات عنه منه أو من وعائه لأمر دقيق جل ثم يخيه

وأجاب الشيخ محمد بن سعيد اليدالي (ت1166هـ) هذا اللغز مشمرا عن ساعد الجد صائغا أعماق علوم القرآن مستجليا غوامض الإشكال في نفس شعري رفيع، يقول69:

فهذا بحمد الله إيضاح لغزه مساو له في بحره ورويه
فلو قال فرضا ربنا "من وعائه" فذلكم بعد التفكر فيه
يؤدي إلى عود الضمير ليوسف فيفسد معناه لمختبريه
لأن الضمير في الصناعة عائد لأقرب مذكور هناك يليه
وإن قال منه اختل أيضا لأنه يؤدي لعود مضمر لأخيه
فتنزع منه الصاع لا من وعائه وتأنف من ذا نفس كل نزيه
لما في انتزاع من أذى ومهانة ولم يرد الرحمن ذا بنبيه
وقائل هذا ابن السعيد محمد محب النبي المصطفى وسميه

ومن الألغاز المتعلقة بعلوم القرآن تلك القصيدة التي وجه الإمام محمد فال بن محمذن إلى علماء عصره والواقعة في ثلاثين بيتا، وهي تضم ثلاثين لغزا في مختلف أبواب علوم القرآن، ونكتفي في هذا المقام بإيراد أربعة أبيات من أولها، يقول70:

أيا محكم التصريف والنحو عجل جوابا لأشياء في الكتاب المنزل
فمتا علتا "سيناء" في منع صرفها ووزن ضياء في قراءة قنبل[71]
وشكل لحرف جاء في الذكر مبتدا بذا أعربته الملح في كل محفل
وما جملة تحكى بقول مقدر ولم تحك بالقول الذي هو منجل

وقد أجاب هذه القصيدة كل من الشيخ محمد بن حنبل وعبد الله بن المحمودة الحسنيين بقصيدتين في نفس الروي والوزن، أما قصيدة ابن حنبل فقد أجابت عن اللغزين الواردين في البيت الثاني من القصيدة المتقدمة حيث يقول[72]:

أملتمسا رفع الجواب المعجل بعجمة وضع منع سيناء علل
وعجمة تعريف بزيد وإن تقل صما بقعة فالأمر حينئذ جلي
تعارض قلب في قراءة قنبل وشذة إبدال فالأول فصل
إذ القلب أولى في الشيوع وإنه تبوأ في المهموز أكرم منزل
ضع العين منها موضع اللام واكسها بلاد الدعا شبها وبالهمز أبدل
وزنه فلاعا وابتدئ باسم سورة على شكل خط الحرف في المصحف العلي

وجاءت قصيدة عبد الله بن محمودن لتجيب عن مجمل الألغاز الواردة في قصيدة محمد فال المتقدمة باستثناء البيتين الأولين اللذين أجاب عنهما الشيخ محمدو بن حنبل وسنكتفي من قصيدة ابن محمودن بمحل الشاهد الذي هو الجواب عن البيتين الثالث والرابع من قصيدة محمد فال المتقدمة، يقول[73]:

تدليت من أعلى إلى غير أسفل أغوص المعاني للجواب المعجل
فأبديت ما أخفيته متأملا خبايا حلاه "بعدما متأمل"
فلكنا شكل النون مبتدا أصله ولكن أناْ في سورة الكهف فاعقل
لعمرك قد جاءت بقول مقدر حكايتها من بعد قول مرتل

ومن ألغاز هذا الباب تلك الأبيات التي وجه العلامة محمد فال بن محمذن إلى أئمة البيان وأعلام علوم القرآن مستفهما عن مجاز المجاز في بعض الآيات القرآنية يقول[74]:

أيها الخائضون علم المجاز والمبينون غامض الألغاز
خبرونا عن آيتين من الذكـ ـر أتى فيهما مجاز المجاز
ومجاز من الحقيقة عار جا مرارا في الذكر ذي الإعجاز

فأجابه العلامة محمد بن محمد بن المحبوبي مبينا حل هذا اللغز فالأبيات السابقة تشير إلى آيتين هما قول الله تعالى: ﴿ولكن لا تواعدوهن سرا﴾ فإنه مجاز عن مجاز إذ الوطء يجاز عنه بالسر لكونه لا يقع غالبا إلا في السر، ويجاز به عن العقد لأنه مسبب عنه. أما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله﴾ فإن قوله: لا إله إلا الله مجاز عن تصديق القلب بمدلول هذا اللفظ، والعلاقة هي السببية لأن توحيد اللسان مسبب عن توحيد الجنان، وقد جعل بعضهم قول الله تعالى: ﴿وأنزلنا عليكم لباسا﴾ من مجاز المجاز لأن المنزل عليهم ليس هو اللباس، بل الماء المنبت للزرع المتخذ منه الغزل المنسوج منه اللباس. وهذا ما أشار إليه العلامة بقوله[75]:

اجعل السر عقدا إن رمت حلا وبالإيمان وحدة فلتوازي
كمجيء اللباس ماء والاتقا ن إليه أنا الذي قلت عاز
ثم لفظ الرحمان لم يات لما أن به الله خص غير مجاز

ومن طرائف الألغاز المتعلقة بعلوم القرآن ذلك اللغز ذو المستوى الأكاديمي العالي الذي وجهه اليعقوبيون إلى بني ديمان يطلبون ضمنه تبيان كلمة وردت في الذكر الحكيم يحتمل أن تكون فعلا ماضيا، كما يمكن أن تكون اسم تفضيل، كما سألوا عن كلمة أخرى لم يرد لها ذكر في النصف الأول من القرآن، وهم يقصدون بالأولى كلمة "أحصى" الواردة في سورة الكهف ضمن قول الله تعالى: ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ﴾ (الكهف12)، ويريدون بالكلمة الأخرى لفظ "كلا"؛ إذ لم يرد في النصف الأول من القرآن. وهكذا قال شاعر اليعقوبيين مخاطبا معشر بني ديمان76:

ألا يا بني ديمان لا زال فيكم محك نضار للأباطيل دامغ
وبشيم الحسنى محلى وآمر "وللذهب الإبريز" واع وصائغ
أبينوا لنا في محكم الذكر كلمة تجاذبها التفضيل والماضي سائغ
وأخرى إذا ما رمتها جل حصرها فمنها حلى در السيوطي فارغ

وقد أجاب هذا اللغز المختار بن بدح الديماني قائلا:

جوابكم أحصى بكهف ونورها تقاصر عنه البدر إذ هو بازغ
ولفظ "كلا" نصف مريم حازها ومنها حلا در السيوطي فارغ

3. الألغاز في مسائل النحو:

وقد جاء إسهام القوم في هذا الجانب مراجعة للدروس وترسيخا للقواعد في الأذهان، ومن أقدم نماذج هذا اللون ذلك اللغز الذي وجهه محمد بن سعيد اليدالي إلى علماء عصره سائلا عن كلمتي "فلك" و"جنب" يقول77:

أيا علماء النحو يا سادة اللغى هديتم أجيبوا جوابا محررا
عن اسم لأضداد غدا جامعا مونثا مفردا جمعا مثنى مذكرا
وآخر يلفى في الصناعة جامعا لذا كله لكن مثناه قد يرى
وكل من الإسمين ليس موازنا فعيلا وكل منهما ليس مصدرا
ويشكل شكل الفعل إن كان مفردا ويشبه جمعا شكل جمع لأحمرا
قد اتفقا في اللفظ جمعا ومفردا ومختلفا شكلاهما حيث قدرا

وقد أجاب نفسه ببيت واحد جمع فيه الكلمتين المتقدمتين مشيرا إلى لفظ "فلك" بكلمة لجة ومشيرا إلى لفظ "جنب" بقوله: محدث أكبرا. يقول78:

إن تسألوني عنهما فسفينة على لجة تجري بمحدث أكبرا

ومن نماذج الألغاز النحوية المتداولة عندهم ذلك اللغز الذي وجهه عبد الودود بن عبد الله الحيبلاوي إلى تلميذه محمد عالي (مع) بن سيدي بن سعيد سائلا عن الأوزان الصرفية لبعض الكلمات يقول79:

قل للذي كان بالتصريف مشتغلا لم يخل من درسه يوما وتكرار
ما وزن نكتل وآرام وأثفية وأينق وعريب وديار80

ومن طرائف ألغاز القوم في النحو ما دار بين العلامة محمد (ميميه) بن المحبوبي اليدالي وبين العلامة محمد عبد الله بن سيدي بن زين القناني، فقد خاطب الأول معاصره قائلا:

إذا كان علم النحو حشو فؤادكا وقد فزت من مطلوبه بمرادكا
فنقب عن الوصف الصريح الذي أتوا به دون ربط مخبرا ببلادكا[81]
وعن شائع لم يفتقر لمسوغ بحال ابتداء واجتهد في ارتيادكا[82]
وسارع إلى مضارع جاء جزمه بحذف وتسكين بركض جيادكا[83]
فعجل جوابا يا خليل مبينا إذا كان علم النحو حشو فؤادكا

فأجابه محمد عبد الله بن سيدي بن زين قائلا:

إذا ذقت علم النحو يا خل "لم تبل" بما فات قبل من لذيذ وسادكا
فمن يطعم الرمان ينس مذاقه لما ذاق من حلو سواه بوادكا
فخذه جوابا من خليل يخوض في تلاعك مذ دعوته ووهادكا
"فمثلك" يا خليل يكفيه مثله إذا كان علم النحو حشو فؤادكا

ب. تدريبات الأذهان والعقول:

وتتناول خلالها جملة من الألغاز غايتها تدريب الأذهان ورياضة العقول قدحا للعبقريات وتنمية للملكات، وسنقسم هذا المحور إلى نقطتين نعنى في أولاهما بألغاز الشعر ونهتم في ثانيتهما بألغاز النثر.

I. الألغاز الشعرية:

وقد سعينا خلالها إلى انتقاء مجموعة من المقطوعات الشعرية القصيرة التي لا تندرج في حقل من الحقول المعرفية المتقدمة، بل هي خاصة بشحذ الأذهان وإثارة الهمم؛ إذ تعمل على تعمية أسماء بعض النباتات أو الأعلام، كما قد تورد بعض الأدوات والأواني في شكل ألغاز، ومن أمثلة ذلك ما ألغز به أحدهم في آلة السواك مشيرا جاعلا منها شيخا مسنا ذا لمة بيضاء وليس عليه من حرج في أن يقبل ثغر العذراء، يقول[84]:

وذو لمة بيضاء شاب جميعها وما هاجه دل وما هاجه غنج
يدب إلى العذرا يقبل ثغرها وليس عليه في الشريعة من حرج

كما نقرأ في قطعة للشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيديا (ت1286) لغزا بديعا يسأل ضمنه عن آلة من آلات البئر وهي "البكره" متعجبا من أمرها مؤكدا أنها "جارية" غريبة الأطوار تقيم في غرفة صغيرة لا تتجاوز قيد شبر، ولها صوت رخيم أشبه ما يكون بتغريد السكران، ومن أغرب ما في أمرها أن حجمها صغير وهي مع ذلك تحمل جنينا يضرب به المثل في الطول، وهو يعني بذلك الرشاء الذي يمر فوقها، يقول[85]:

وجارية من أمرها يتعجب هلموا إلى أمرها فتعجبوا
لها غرفة في قيد شبر من الهوى تغرد فيها كالنزيف وتلعب
لسرعتها لا تدرك العين كنهها وعنها لأيدي اللامسين تجنب
ومن تحتها الأنهار والنار وسطها فلا النار تظميها ولا الماء تشرب
يقاس بقتل طولها وهي حامل جنينا به الأمثال في الطول تضرب

أما سيد الفالي بن محمودن فإنه يقدم لغزا متميزا يسأل فيه عن نبات يعرف في اللهجة الحسانية بـ"أم البينه" مستشكلا كثرة لبنها مع أنها لم تلد ولم تلقح، ومشيرا في الوقت نفسه إلى أن الطلبة كثيرا ما يستعينون بلبنها في إعداد الحبر يقول[86]:

فما ذات رسل خالص قط لم تلد ولم يحتقب يوما حقيبتها فحل
تشن على سودا فيصفو سوادها إذا عجبا يا قوم ذالكم الرسل

كما نجد أحدهم يسأل أيضا عن نوع آخر من النباتات يعرف في الفصحى بالبلسكاء وفي الحسانية بـ"إنيتي" مؤكدا أنه يعض من غير أنياب، يقول[87]:

أجبني خليلي عن قصير مذمم يعض بأنياب نبتن بلا ثغر
يقل علينا ضره في شبابه وإن شاب يوما كان في منتهى الضر

ومن الألغاز الطريفة في هذا الجانب ذلك اللغز الذي يقرأ فيه أحد الشعراء السلام على محبوبته أسماء مشيرا إلى اسمها بلفظ الأسماء المعرف الوارد في سورة البقرة ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ مشيرا إلى أن هذا الجمع المعرف إذا ما حذف منه التعريف تحول إلى اسم هذه المرأة التي صرح أن هواها خالد بين جوانحه، وقد عبر عن ذلك الخلود بتعظيم أحد آباء زوجات النبي صلى الله عليه وسلم وهو يعني "خويلد" فإذا ما نقلنا هذا العلم من التصغير إلى التعظيم حصلنا على لفظ "خالد" دون أن ينسى الحديث عن علاقته العاطفية بهذه المرأة فهو بأمرها "همام" ولخبرها "جساس" ومعلوم أن هماما وجساسا أبناء مرة فقد ورى بهما عن تعلقه بهذه المرأة معبرا عن الروح تعبيرا قرآنيا هو ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ وقد ختم قطعته مبينا أن قلبه من شدة الغرام كأنما هو مجرح بموسى أو سكين، ولا يخفى ما في لفظ من التورية يقول88:

ألكني وحاذر أن تكون معرفا سلاما إلى ما الله علم آدما
وأن هواها بين جنبي كلما نأتني أبو زوج النبي معظما
وأني من هواها ابن مرة أو أنا أخوه إذا ما الليل جن وأظلما
وأنا التي من أمر ربي كأنما تخرج من سم الخياط تألما
فبت كأن القلب مني مكلم بموسى عليه الله صلى وسلما

ونختم هذه القطع الشعرية بذلك اللغز الذي وجهه عبد الله العتيق بن ذي الخلال إلى محمدن بن المقداد ملتمسا منه أوراقا يكتب عليها، وقد عبر عنها بلفظ "مهرق" التي ألغز بها سائلا عن اسم رباعي حرفاه الأخيران يرادفان كلمة "مهرق" في الدلالة وهو يعني "رق" أما إذا حذف الحرف الأخير من هذه الكلمة

فإن القارئ يحصل على مرادف لكلمة حصان، وهو يقصد بذلك كلمة "مهر" وأما إذا قلبنا كلمة "مهرق" فإننا نحصل على التعبير "قر هم" يقول89:

فما اسم رباع آخراه موافقا إذا شد ثان كله في الدلالة
وعند انحذاف للأخير مرادف حصانا وأعيا كل واري الذبالة
وفي القلب منه "قر" هم شكوته إليك ابن مقداد ازدهر برسالتي

وقد أجابه محمد بن المقداد هذا اللغز مؤكدا أنه أدرك فحواه وعلم المقصود منه منتهيا إلى أن مراد السائل هو "القراطيس" التي أشار إلى أنها تتكون من مقطعين أولهما "قراط" وهي مقلوب كلمة "طارق" وثانيهما لفظ "يس" التي هي قلب القرآن كما في الحديث فلو زدنا على لفظ "قراط" لفظ "يس" تحصلت لدينا كلمة "قراطيس" وهي فك اللغز المذكور، يقول90:

فمقداد ما أملته قد أناله وكنه الذي أخفيته قد بدا له
مرامك باد جمعه قلب طارق و"قلب كتاب" قد عرفنا جلاله

2. الألغاز النثرية:

وهي كثيرة ومتنوعة وقد اختصرنا في هذا المقام على مجموعة من الرسائل القصيرة التي اعتمدت أساليب التعمية وطرائق التوهيم؛ إذ غلفت بغلاف التورية والكناية، وتغطت بغطاء الإيجاز والإلغاز راكنة إلى لباس المجاز، ولعل من أقدمها رسالة كمال الدين محمذن المجيدري91 إلى أهله وهو بالبلاد المغربية زربية وسلهاما مع شخص ولم يرد أن يطلعه على مضمون الرسالة فأمده بورقة ليوصلها إلى الأهل، وكانت الرسائل يومئذ لا تودع في ظروف مغلقة مختومة تمنعها من أن يطلع عليها الفضوليون، لذلك اعتمد الرجل في رسالته أسلوب التعمية والتوهيم، وذلك ما أوضحه صاحب الوسيط قائلا: "كان المجيدري بمراكش فأرسل إلى أهله مع شخص سلهاما أي برنسا وزربية، وكان غير مطمئن عليهما من جهة حاملهما، وعادة الكتب عندهم ألا تكون في ظروف، فكتب مع حاملها: سلام بزيادة لام ماء إلى لامه وإحدى خبر كان في قول الشاعر ترديت إلى آخر كلامه"92.

ولما بلغت الرسالة الأهل أدركوا مراد الرجل وفكوا اللغز وعلموا أنه أرسل إليهم هذه الأمتعة فالمقصود بـ"لام سلام" هي لامه الهجائية لا لامه من جهة التصريف، والمراد بـ"لام ماء" لامه الصرفية فمن المعلوم أن كلمة ماء أصلها موه بدليل مياه، فلامها هاء، وإذا ما ألصقنا لام ماء التي هي الهاء بلام سلام حصلنا على لفظ سلهام وهو المقصود . أما قوله: "إحدى خبر كأن في قول الشاعر" فهو يشير به إلى بيت غيلان بن عقبة:

تـرديـت مـن ألـوان نـور كـأنهـا زرابـي وانهـلـت عـلـيـك الـرواعـد

فخبر كأن في البيت هو كلمة زرابي، وواحدتها زربية.
ونقرأ رسالة أخرى وجهها أحمد بن أمغر إلى شيخه لمرابط محمذن فال بن متالي يعلن ضمنها خطبته لإحدى البنات ويلتمس تأخير العقد عليها إلى أمد أقصاه ثماني سنين التي هي أقل الأجلين الواردين في قصة موسى عليه السلام مع شعيب صلاة الله وسلامه عليه، ونص الرسالة: "أما بعد فإني أريد منك أن تنسئ لي ما أبى سمي منبوذ العراء إلحاق مؤنثه بمذكره في باب الإضافة عند عمر إلى أدنى أجلي كليم الله عند مكذب الأيكة والسلام" فواضح أن هذه الرسالة جنحت إلى أسلوب التعمية والإلغاز مستحضرة جملة من المصطلحات النحوية ومتحدثة عن آراء بعض النحاة، وخاصة الإمام سيبويه ويونس بن حبيب معبرة عن الأول باسمه عمرو وعن الثاني بسميه نبي الله يونس بن متى منبوذ العراء. فيونس بن حبيب سمي لهذا النبي، ومعلوم أن يونس النحوي كان يأبى إلحاق البنت بالابن في النسب من الوجهة الصرفية النحوية، وكان سيبويه يسمى باب النسب باب الإضافة، فمذهب يونس النسبة إلى لفظ الابن والبنت بلفظيهما فيقول بنتي وأختي، أما خليل وسيبويه فمذهبهما إلحاق بنت وأخت في النسب بالأخ والابن فيحذفون منهما تاء التأنيث ويردان إليهما المحذوف فيقولان في النسبة إليهما أخوي وبنوي كما يفعلون مع أخ وابن، وقد أشار ابن مالك إلى ذلك بقوله[93]:

وبـأخ أخـتـا وبـابـن بـنـتـا ويـونـس أبـا حـذف الـتـا

وقد كنى في رسالته عن موسى بـ"كليم الله" وعن شعيب بـ"مُكَذَّب الأبكة" على صيغة اسم المفعول وعبر عن ثماني سنين وهي الأجل المطلوب بـ"أدنى أجلي كليم الله" الوارد في قول الله تعالى: ﴿على أن تأجرني ثماني حجج فإن أتممت عشرا فمن عندك﴾ (القصص27).

ونطالع رسالة ثالثة تتضمن لغزا طريفا معتمدة الإيجاز فكاتبها يلتمس من أحد أصدقائه بعض الآلات المعينة على الحياة البدوية يقول: "مني إلى الأخ ابنه سلام موجبه أني أريد منك أم قرى الغرب وما يلي و"ما الدهر" من كلام العرب والسلام" وواضح أن الكاتب عول في فاتحة هذه الرسالة على اعتماد أسلوب الاستخدام، فالضمير في كلمة ابنه ضمير استخدام؛ إذ المقصود به رجل يسمى ابن الأخ خاطبه الكاتب ملتمسا منه "فأسا" و"منجنونا" فعبر عن الأول بـ"أم قرى الغرب" يعني مدينة فاس لأنها كانت عاصمة الثقافة يومئذ وأم قرى المغرب، وقد ورى باسمها عن الفأس آلة القطع المعروفة، ومعلوم أن الشناقطة كانوا يطلقون على بلاد المغرب "بلاد الغرب" وقد عبر عن ملتمسه الثاني الذي هو المنجنون بالإشارة إلى بيت يضم في بنيته اللفظية كلمة "منجنون" وهو قول الشاعر:

وما الدهر إلا منجنونا بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذبا

فالكلمة التي تلي "وما الدهر" من هذا البيت كلمة "منجنون" والمنجنون هو البكرة التي ألغز بها ومعروف أنها آلة يستعان بها في امتياح الماء من البئر، فصاحب الرسالة إذن يطلب من زميله فأسا وبكرة، ونختم هذه النماذج بمراسلة دارت بين سيد أحمد بن عبيد المجلسي وبين ابن عمه سيد أحمد المعروف بالجكاني ت 1305 هـ وتعد هذه المراسلة من أكثر الرسائل تعمية وإيجازا فقد كتب الأول إلى الثاني رسالة لم تزد على حرف واحد مكتفيا في نص رسالته برسم حرف الفاء معرقة هكذ (ف) دون إعجام وهي عادتهم في كتابة الفاء في آخر الكلمة وكان الجكاني قد وعده بمنح ناقة فجاءت الرسالة المختصرة تذكرة بالعهد وأمرا بالوفاء فسارع الجكاني إلى إرسال الناقة مكتفيا في الرد على الرسالة الموجزة بما هو أوجز منها إذا اقتصر على إعجام الحرف المهملة واضعا فوقه نقطة، (ق) ليتحول الأمر من الوفاء إلى الوقاية وكأنه يأمره بالمحافظة على هذه الناقة

والسعي في وقايتها من الآفات، وبذلك ندرك أن الرسالة الأولى جاءت حرفا واحدا في حين أن الرسالة الثانية جاءت مجرد نقطة فهذا النموذج من أشد الرسائل اختصارا وإيجازا وأكثرها تعمية وإلغازا94.

خاتمة

وصفوة القول إن رياضة العقول آلية تربوية بالغة الأهمية فهي تسهم بفعالية في قدح الأفئدة والألباب وشحذ المهارات والأفكار وإيقاظ الهمم والإرادات،وشد انتباه المتعلم وتشويقه، وتسلية الدارس وتنشيطه، وهي كذلك مجال خصب لتناظر والحوار ومنهاج للتثاقف والوصال.

وقد سعت هذه الورقات إلى تأصيل الموضوع مستحضرة نماذج من الإسهام الشنقيطي في هذ الحقل راصدة جهود القوم فيه، ومنبهة إلى تقاليدهم المحظرية خلاله ومؤكدة أنه خلفوا في جنبه تراثا ثرا يذكر فيشكر. فحقيق علينا اليوم أن نعيد الاعتبار لهذا اللون الأدبي حتى يصبح عنصرا ثابتا من تتمات المقررات المدرسية وملحقاتها فهو ذو صلة وثقى بمواد الفقه والأصول والفرائض والقرآن وعلوم اللسان ، فالاعتناء به يعد تعميقا للبحث وترسيخا للمعارف، بل تنويرا للعبقريات وتطويرا للمواهب والملكات، لما ينجر عنه من قدح للأفكار والفهوم ودفع للتربية والثقافة والعلوم، فحبذا لو استطعنا أن ننسق مادة معتبرة في هذا الحقل المعرفي كي تتمكن من جمع المتفرق وتحقيق المخطوط وإعادة نشر المطبوع سبيلا إلى وضع موسوعة علمية في هذا الفن غايتها حمل الدارسين على التعلم عن طريق السؤال والجواب والإثارة وحل الإشكال.

هوامش الدراسة:

1] القاموس المحيط: الفيروز آبادي، دار الفكر: 1995 (مادة: راض) .
2] المعجم الوسيط: إبراهيم أنيس وآخرون، القاهرة 1972 (مادة: ذهن) .
3] القاموس المحيط: مرجع سابق (مادة: عقل) .
4] المعجم الوسيط: مرجع سابق، (مادة: عقل) .

5] أخرجه الترمذي تحت رقم (2459) عن أنس بن مالك، وقال الترمذي: حديث حسن، ورمز له السيوطي بالصحة في الجامع الصغير، انظر (ص:98).
6] الأعراف: 179.
7] الإسراء: 36.
8] لقمان: 12.
9] الطلاق: 2.
10] ق: 37.
11] س: 70.
12] الأنفال: 22.
13] الفرقان: 44.
14] أخرجه ابن الجوزي في كتابه الأذكياء، ص:11
15] ذكره ابن القيم في مفتاح السعادة، ص:117 بصيغة التمريض.
16] أخرجه الطبراني في الكبير تحت الرقم 80-86 وفيه عمر بن صالح قال الذهبي لا يعرف. وأخرجه ابن الجوزي في كتابه الأذكياء ص:13
17] أدب الدنيا والدين: الماوردي، مؤسسة الكتاب الثقافية، طبعة 3/ 2004، ص:9
18] المرجع السابق، والصفحة.
19] المرجع السابق.
20] المرجع السابق، ص:11
21] رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم، باب ترك الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم. انظر فتح الباري 1/191
22] فتح الباري على صحيح البخاري. ابن حجر عند شرحه للحديث المتقدم، 1/191
23] عمدة القاري على صحيح البخاري، 2/15
24] مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، تصدر عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، السنة 18 العدد 54 2003 مقال بعنوان: "منهج الألغاز وأثره في الفقه الإسلامي" د. عبد الحق حميش ص:236-237 نقلا عن ابن عساكر لابن منظور 2/317
25] المرجع السابق والصفحة.
26] أخرجه الطبراني في الكبير الحديث رقم 8438 وأخرجه أبو داود كذلك وضعفه الألباني وأورده السيوطي في الجامع الصغير تحت رقم 1499

27] مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، مرجع سابق، ص:247–248
28] البقرة، الآية: 111
29] الأنفال، الآية: 28
30] أورده في كنز العمال 10/108
31] جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، ص:378
32] الموافقات للشاطبي: 4/717
33] مقابلة مع العلامة الشيخ محمد الامين بن أحمد طالب يوم 17/02/2010 المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية.
34] حياة موريتانيا: الجزء الثقافي: المختار بن حامد، بيت الحكمة، تونس 1990 ص:188–189.
35] المرجع السابق والصفحة.
36] المرجع السابق ص:189.
37] المرجع السابق والصفحة.
38] مخطوط بحوزتنا.
39] المجموع الكبير من المتون فيما يذكر من الفنون، دار الفكر. دون تاريخ، ص:442.
40] المرجع السابق ص:443.
41] المرجع السابق.
42] مخطوط بحوزتنا.
43] رفع العلام على شرح الأخضري وتوشيح عبد السلام: محمد محفوظ بن الشيخ بن فحف، الطبعة الأولى 2001 ص:14.
44] المرجع السابق ص:244.
45] مخطوط بحوزتنا.
46] منظومة أهبة المتنطق إلى علم المنطق، للعلامة زين بن اجمد تحقيق: محمد بن محمدن. المعهد العالي للدراسات والبحوث الإسلامية: 2005 ص:26.
47] المرجع السابق ص:29.
48] مخطوط بحوزتنا.
49] مخطوط بحوزتنا.
50] مخطوط بحوزتنا.
51] وهذا إذا كان لابسا خفيه على طهارة كاملة ثم حضرت الصلاة وليس معه ماء يكفي وضوءه، وإن مسح كفاه ما معه من الماء للوضوء، فهذا

يؤمن بالمسح وجوبا، لأن نزعه يؤدي إلى انتقاله عن الصلاة بالوضوء إلى التيمم فيمنع من ذلك.

[52] مثاله مسبوق ظن سلام إمامه فقام لقضاء ما عليه وهو ركعة فلما جلس لسلامه سلم الإمام فإنه لا يعتد بتلك الركعة التي أدى في صلب الإمام على المشهور، فيأتي بركعة بعد سلام الإمام ولا سجود عليه في الركعة التي زاد في صلب الإمام لأنه قد زادها في حالة القدوة. انظر خليل عند قوله: "ولا سجود على مؤتم حالة القدوة".

[53] مثاله من تذكر أنه لم يصل العصر عند الغروب فقام لقضاء ما عليه، فلما صلى ركعة تذكر أنه صلاها، فإنه يشفع تلك الركعة بركعة أخرى خوفا من بطلان العمل، وإنما جاز النفل لأنه لم يدخل عليه ابتداء، وقوله: يا لفرع تعجب كقولهم: يا للماء والعشب.

[54] فالفرض الذي تبطله الإشارة فرض الأخرس لأن إشارته هي كلام، قال ابن رشد: سمى الله الإشارة كلاما قال تعالى: ﴿آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ الآية وعلى هذا أحد القولين، وأما الفرض الذي يبطله التفات بلا قصد فهو المصلي إذا كان مسامتا لعين الكعبة فإنه مهما التفت عنها بطلت صلاته كما في الشبرخيتي.

[55] المنارة والرباط: الخليل النحوي، منشورات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1987 ص:277

[56] -1

[57] -1

[58] -1

[59] نفس المرجع السابق والصفحة.

[60] المرجع السابق والصفحة.

[61] المرجع السابق والصفحة.

[62] المرجع السابق والصفحة.

[63] المرجع السابق والصفحة.

[64] يعني الأصم والأخرص فتصح صلاته إذا كان إماما، وإذا كان مأموما لم تصلح صلاته.

[65] لعله يقصد الطبيب.

[66] -

[67] -

-[68]
69]الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص:7-8
70]المرجع السابق، ص:8
71] مخطوط بحوزتنا .
72]قد منعت كلمة سيناء من الصرف لعلتين هما العجمة والعلمية؛ إذ هي علم على جبل معروف هو جل طور سيناء الذي أقسم الله تعالى به في كتابه بقوله: ﴿والطور وكتاب مسطور﴾ وهي من أعمال مصر. أما كلمة ضياء فقد قرأها قنبل بهمزة مفتوحة بعد الضاد (ضيئاء)
73] مخطوط بحوزتنا .
74] مخطوط بحوزتنا .
75] مخطوط بحوزتنا .
76] مخطوط بحوزتنا .
77] مخطوط بحوزتنا .
78] محمد اليدالي، الذهب الإبريز، مخطوط بحوزة الراجل ولد محمد سالم.
79]المخطوط السابق.
80]الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص: . . .
81] وزن نكتل نفتعل بكسر العين لأنه من الكيل، وأصله نكتيل، فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت الألف لسكونها وسكون اللام. فصار نكتل، وقد سأل أبو عثمان المازني ابن السبكيتي عن وزن "نكتل" فغلط فيه، وآرام وزنها أعفال لأنه مقلوب، وإرام جمع رئم بالكسر وهو الظبي الخاص البياض، وأثفية وزنها أفعولة على القول أنها من ثفيت الشيء إذا دحيته، وقيل وزنها فعولية على أنها من أثفيت. قال الزمخشري الأثفية ذات وجهين تكون فعولية وتكون أفعولة، وهي الحجر توضع عليه القدر، وأينق وزنه أيفل وقيل أعفل. وعريب وزنه فعل، ولا يستعمل إلا في النفي وديار وزنه فيعال.
82]يعني هنا قولهم الرمان حلو حامض، أي مضر، فكل واحد من الوصفين حلو وحامض يشغل جزءا من الخبر ليحصل من اجتماعهما خبر واحد يخبر عن المبتدأ "الرمان".
83]يعني لفظ: "مثل" فهي نكرة ولم تفتقر لمسوغ.

84]يقصد المضارع المجزوم من فعل "يبال" إذ سمع فيه "لم تبل" فجزم بالسكون والحذف، قال الشاعر: **إذا جاورتنا العام سمراء لم نبل *-* على جدبنا ألا يصوب ربيع**
بمعنى لم تبال.
85] مقابلة مع العلامة محمدن الزايد بن ألما بتاريخ 10/06/2005
86] مخطوط بحوزتنا .
87]مقابلة مع الشيخ عبد الله المختار بن مياه في نواكشوط بتاريخ: 20/07/2006
88] مخطوط بحوزتنا .
89]مقابلة مع محمد الزايد بن ألما بنواكشوط بتاريخ: 15/08/2006
90]مقابلة مع الأستاذ الجليل محمدن بن محمد فال بنواكشوط بتاريخ 05/03/2010
91] المقابلة السابقة.
92] 1-
93] الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، مرجع سابق، ص: 529
94] مقابلة مع الأستاذ محمد يحي بن سيد أحمد المجلسي بانواكشوط بتاريخ 22/01/2006